صاحب الجلالة يوجه خطاباً الى مجلس النواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

الطابع الشريف، وبداخله الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه

أيها السادة النواب، امنكم الله ورعاكم ووفقكم وسدد خطاكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد فتنفيذاً لما أشرنا اليه منذ ايام قليلة نتجه اليكم بخطابنا هذا مؤملين ان تعيروا ما سنعرضه عليكم من شامل العناية وحصيف النظر ما يكفل الآثار المرجوة الحميدة والنتائج التي تبتهج لها الافئدة وتسعد بها النفوس.

غير خاف عليكم ايها السادة، ان المغرب خاض في أثناء السنوات الخمس الأخيرة معارك متعددة كانت كل واحدة منها حاسمة وكان جميعها لا يختلف بعضه عن بعض بالقياس الى الاساس والاهمية، وهذه المعارك وان اختصت كل واحدة منها بمستواها وامتازت بفلكها الذي تدور فيه اقتضت منا أن نعبىء جميع امكاناتنا، ولولا وطيد العزم الذي اظهره المواطنون زرافات ووحدانا، ولولا اسهامهم ومشاركتهم وما تمسكوا به من التزام قوي عميق لما افضينا بكل معركة من هذه المعارك ذات البعد الشاسع الى نهايتها المنشودة.

وبدانا أول ما بدانا بعمل واسع النطاق لتحقيق النمو والازدهار، ولم نكن نجهل ما سيعترضنا لا محالة من صعاب ولا ما سيقوم على طريقنا من عراقيل، ولكننا كنا مصممين يومذاك كما بقينا مصممين باتصال على تذليلها والانتصار عليها، تعلمون أيها السادة ان رغد عيش المواطنين أفراداً كانوا أو جماعات ظل على وجه الاستمرار أحد فروع اهتمامنا الأكبر وعنايتنا البالغة، ولم يكن في وسعنا ان نؤمن لرعايانا الاوفياء هذا الرغد الضروري الا بأن يخوض المغرب غمار معركة اقتصادية واجتماعية متسعة اتساعاً يعز مثيله.

فلم يعهد في تاريخ المغرب قبل حقبة السنوات الخمس الاخيرة، ان انصرفت بلادنا الى ما انصرفت اليه من بناء وتشييد وانشاء واستثمار، ذلك ان هذه الحقبة شهدت ميلاد السدود والمعامل الكهربائية والمركبات الصناعية والمستشفيات والجامعات في عرض البلاد وطولها وجاء ميلاد كل هذه الانجازات استكمالا او تمديداً للتجهيز الأساسي، ولم يهمل اقليم من اقاليمنا بل حرصنا حرصاً دائباً على أن ينال كل فرد حظه من الخير المهيإ للجميع.

ولكن رغد العيش وان بلغ ما بلغ، كان خليقاً بأن يظل ضرباً من الاوهام، وجهودنا كانت حرية بأن تبقى عديمة الجدوى لولا ان باشرنا الى جانب ذلك عملا لا يقل أهمية ووزناً، ألا وهو تخويل المواطنين منفردين ومجتمعين التمتع بالممارسة الفعلية للحريات والحقوق الأساسية.

ووفاء بالتزاماتنا وتلبية لرغبة أثيرة من رغائب شعبنا، فقد تصدينا لتأسيس الديمقراطية وتشييد بنيانها لتتسنى أسباب المشاركة لجميع افراد شعبنا في تدبير وتسيير الشؤون العامة، وهكذا سيكون مصيرنا عملا مشتركاً وسيظل في مستوى طموح الجميع وارادته ومجهوده، ولعل الرهان كان يبدو متسماً بسمة المغالاة، الا اننا لم نتردد لحظة واحدة في ابتغاء كسبه مستمدين قوتنا وعزيمتنا من رصيد الوطنية التي دأب المواطنون المغاربة على التحلي بمزيتها طوال تاريخنا المجيد.

وفي ذلك الوقت بالذات نازعتنا اعمال مختلفة وسيظل الدور الذي اضطلع به جيشنا الباسل المقدام في

مرتفعات الجولان وفي حومة سيناء، والتضحيات التي بذلناها بسخاء، مفخرة من مفاخر شهامتنا الوطنية.

ثم استجبنا بعد ذلك لنداء زايير، وقمنا بشد أزره عندما انتهكت حرمة سيادته ووحدة تراب أرضه.

ولكن شيئاً من هذا كله لم ينسنا ما كنا نراه أمراً جوهرياً، فقد كان جزء من ترابنا الوطني خاضعاً للسيطرة الاجنبية وكان لزاماً علينا ان نستعيده فاسترجعناه بالفعل في دائرة القانون والمشروعية واحترام احكام القانون الدولي، غير ان استرجاعنا للصحراء يكلفنا تضحيات ويجشمنا نفقات لا سبيل الى تقويمها وتقديرها، فهناك مجهود عسكري متواصل يفرض علينا القيام به واجبنا الأوجب، وبالاضافة الى هذا المجهود العظيم فان الحال التي وجدنا عليها أقاليمنا الصحراوية تتطلب منا هي كذلك تضحيات مختلفة تطرأ في كل آونة وحين، ومادامت صحراؤنا مفتقرة الى كل شيء فاننا نجتهد سعياً لسد الحاجات وارضاء المتطلبات لا نبخل بعطاء أية ما كانت ضروبه وانواعه، واننا لنريد بكل ما لارادتنا من قوة ان يتمتع ابناؤنا في الصحراء بذلك المستوى للعيش وبذلك الحظ من الرقي والرغد اللذين يتمتع بهما اخوانهم في الاقاليم الأخرى لمملكتنا، واذا كنا ندرك ما تستلزمه ارادتنا من ثمن فاننا ندرك كامل الادراك في الوقت نفسه ان كل واحد من المواطنين على امتداد ارض مملكتنا مستعد لاداء هذا الثمن او للاسهام في أدائه.

هذا هو السياق العام الذي نجول في ثناياه، وهذه هي الاعمال الجليلة التي قمنا بها وما زلنا نقوم.

ان الدور الذي اضطلع به المغرب ليحظى بالتقدير في حظيرة الدول وان الاعتبار الذي تتمتع به بلادنا لم يبلغ في أي وقت مضى ما بلغه الآن من سعة وامتداد.

وفي المجال الداخلي، فان درجة ما حققناه من رقي ونمو وتوسع لتثير اعجاب من يعنون بالمغرب بصورة او بأخرى، الا اننا لم نتغلب بعد على جميع مشاكلنا وقد يقتضي التغلب عليها زمنا غير قصير.

ان وضع العالم الاقتصادي لوضع عسير يمتاز خاصة بارتفاع كبير لأسعار الطاقة والمنتجات الصناعية، وهي طاقة ومنتجات يستوردها المغرب ويقابل هذا الارتفاع اضطراب شديد في السعر الدولي للفوسفاط، ومن أجل هذا اضطررنا باستمرار الى ان نعيد النظر في تقديراتنا ونضاعف جهودنا لنصل بمخططنا الخمسي الى نهايته.

واتفق ان صادف انتهاء هذا المخطط افتتاح أعمال مجلسنا للنواب، وبعد الدورة التي قصرنا المجلس على دراسة ميزانية السنة الحالية والتصويت عليها كانت حكومتنا تنوي ان تقدم لمجلسكم الموقر مشروع المخطط الخمسي الجديد.

أيها السادة : ان روابط التكافل الواضحة القائمة بين مختلف المخططات ووحدة الرؤية الضرورية الواجب اشرافها على اقتصادنا العام، كل هذا من شأنه لا محالة ان يوجه المخطط الجديد وجهة المخطط السابق ويطبعه بايقاع هذا الاخير.

بيد ان الظروف ابانت لنا ان التمادي على سلوك طريق النمو والتوسع التي سلكناها يعرضنا بصورة قطعية لخطر التبعية للخارج.

ولهذه الأسباب قررنا ان نتيح لعقولنا ان تنصرف الى التفكير مدة من الزمن، وقد دعانا الى اتخاذ هذا القرار داعيان أساسيان :

أولهما داع اقتصادي واجتماعي.

ذلك ان الصعاب التي تعترض سبيلنا والتي تتصل اتصالا مباشراً ووثيقاً بالاضطرابات الاقتصادية الدولية كان لابد من ان تضعنا بين أمرين خطيرين :

إما ان نواصل نمونا دون مراعاة لتكاليفه المالية، وفي هذه الحالة تصبح تبعيتنا للخارج تبعية لا تطاق.

وإما ان نضع مخططنا بدقة وضبط ملتزمين بما لنا من امكانات، وجاعلين في الحسبان كل ما يستتبعه ويستوجبه هذا الاختيار من تدابير تقييدية وتحديدية وقسرية، والمخطط الموضوع على هذه الشاكلة من شأنه ان يفرض طيلة مدته حتماً على مواطنينا صنوفاً من الضغوط والحرمان فضلا عما يترتب عنه من ضرب لنطاق ضيق لفترة طويلة على نمونا وتوسعنا، ولما كانت الصعاب التي نلاقيها تنتمي نوعا وطبيعة الى صعاب ظرفية ومرحلية فإننا نعتقد ان التغلب عليها في متناولنا عند نهاية سنة 1980، ثم ان التدابير التي لا يتصور بيسر ان تدخل في اطار مخطط خمسي لأنها خليقة بان تحول اتجاهنا تحويلا كاملا تستطيع ولا ريب ان تكون نافعة طوال المدة التي قررنا اتخاذها للتأمل والتفكير.

يضاف إلى هذا أن الضغط أو الحرمان في الصعيد السيكولوجي وفي صعيد اقتصاد أقيم على أساس صحيح، يسهل احتماله والصبر عليه اذا كان هذا الضغط او هذا الحرمان موقتا ومستهدفا بحكم طبيعته تطهير الوضع واعداد المستقبل اعداداً أفضل وأمثل.

وانطلاقاً من هذه الاعتبارات قررنا ان نضع لحكومتنا مخططاً انتقالياً لا تتجاوز مدته ثلاث سنين ابتداء من عامنا هذا، كما قررنا ان يكون مصحوباً بالتدابير اللازمة، وحصرنا اهدافه الجوهرية في التحسين التدريجي لميزاننا التجاري وميزاننا للاداءات وفي التقليل من عجز الميزانية.

ولكي يؤتي هذا المخطط الانتقالي جميع ثماره ويسفر عن النتائج المتوقعة منه فلا غنى له عن تفهم الجميع له والتزام الجميع بمضمونه، وعلى هذا فان ظرف التفكير الذي خولناه لأنفسنا قصد اعداد مخططنا الخمسي المقبل يجب ان يكون عاماً ومتضمناً لسلم اجتماعية شاملة، والا اصبحت التدابير التي سنتخذها أيا ما كان نصيبها من الاكراه او الحكمة، خالية من الفائدة متجردة من كل تأثير.

اما الداعي الثاني الذي أهاب بنا الى اقرار مدة امعان النظر والتفكير فهو داع سياسي أو فلسفي على وجه التقريب.

ان الديمقراطية التي أسسناها لا مندوحة لها، اذا ارادت ان تكون حقيقة وأصيلة، من أن تتيح لكل واحد ان ينهض بحظه من المصير الوطني وللجميع ان يشاركوا في تسيير الشؤون العامة.

وان مجلسكم الموقر هذا مازال ايها السادة في الاطوار الأولى من أعماله، فقد قدمنا له بحكم الحاجة الملحة ميزانية الدولة لسنة 1978 ولم يمض على افتتاح أعماله الا ظرف وجيز، طالبين منه ان يناقشها ويوافق عليها اعتباراً لضرورة هذه الموافقة عند نهاية السنة المالية واجتنابا للأخذ بمسطرة الاعتمادات الموقتة.

ونرى الآن ان نمد السادة النواب بالوقت الكافي لتعميق معرفتهم بشؤون الدولة وللتفكير على مهل، اغتناما لفرصة التأمل المتاحة، في الاتجاهات والاختيارات التي يرون جدوى قيام المخطط الخمسي على دعائمها، وسيكون نهوضهم بالمسؤولية على هذا النحو احسن وافضل واضطلاعهم بمهامهم اتم واكمل.

وهكذا ستصبح ديمقراطيتنا حقيقة وطنية، وسيشعر شعبنا الذي عهد الى النائبين عنه بأن يسهموا في صيانة مصالحه بالأطمئنان الى ان اختياره لم يكن اختياراً عابثاً ولا مخطئاً للصواب.

وحتى يستطيع شعبنا ان يقوم تقويماً ادق ويقدر تقديراً أصح جميع الجهود التي صرفناها وجميع العراقيل التي تخطيناها تيسيراً لاسباب التوسع الذي تمتع به المغرب ونقلا للمخطط الخمسي الأخير على الوجه المرغوب فيه الى مرحلته النهائية، فاننا سنورد بعض الأمثلة التي تستغني بلاغتها فيما يبدو عن كل بلاغة سواها.

لقد عرضنا ايها السادة فيما سلف الى وجودنا بين أشقائنا العرب يوم معركة التحرير كما عرضنا لوجودنا على ارض زايير، وهاتان المشاركتان كلفتا وحدهما بلادنا بالعملة الصعبة وفي الوقت الذي تمتا فيه عندما اضطررنا الى تعويض العتاد الحربي الذي خلفناه هناك، ومنشأ اتساع حجم هذه الأموال التآكل النقدي وما استشرى في العالم منذ سنة 1973 من ارتفاع للأسعار.

وتعلمون من جهة أخرى ان مداخيلنا من الفوسفاط تفيدنا عادة في تمويل جزء كبير من مخططنا الانمائي، الا ان هذه المداخيل بعد الاضطرابات الاقتصادية العالمية وخصوصاً بعد ارتفاع اسعار الطاقة لم تعد تكفي الا لتزويد المغرب بالمواد النفطية.

ولعل خطابنا هذا سيبدو ناقصاً اذا نحن اغفلنا الحديث عن قرارنا الأخير القاضي بايفاد تجريدة مغربية الى زايير.

وليس بعازب عن علم كل واحد ان هذا البلد الشقيق عاين مرة اخرى انقضاض قوات جاءت من الخارج على وحدته الترابية وسيادته الوطنية، منتهكة لحرمة هذه الوحدة ومعتدية على هذه السيادة.

وتلبية للنداء الذي وجهه الرئيس السيد الحاج عمر بونكو الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية، مهيبا بالتضامن الافريقي، فقد قبلنا ان نؤازر الرئيس موبوتو قصد صد العدوان والمحافظة على وحدة ترابه وسيادة بلاده.

تتعرض قارتنا اليوم ايها السادة الى اقتحام أجنبي لا يتستر بستار فهناك عمل ممتد لتقويض أركان الاستقرار تقوم به فئة غير مسؤولة وتعتدي به على سلامة القارة وأمنها، وهذا يوذن بتعريض سيادة عدد كبير من دولها واستقلالها اذا لم نعره الانتباه الضروري ولم نسلك حياله سبيل الحيطة والاحتراس.

ان الاعتداء على زايير لا تختلف طبيعته عن طبيعة الاعتداءات التي تصاب بها أقطار اخرى شقيقة كالجمهورية الموريتانية الاسلامية جارتنا الصديقة، كما لا تختلف عن المطالبات الضالة الخرقاء التي تتخذ ترابنا الوطني قبلة لها، ولذلك فان جميع الدول المحبة للسلام والعدل قد قررت مناهضة الخطر ومواجهته، شعوراً منها بأنه منيخ على قارتنا بكلكه.

ولم يبرز في اي وقت من الأوقات واجب التضامن بين الشعوب المؤمنة بمثل عليا واحدة، السائرة على هدي واحد من الآداب والاخلاق كما يبرز الآن ملحا شديد الالحاح، وهذا التضامن الذي نعتبره غير قابل للتقسيم يمكنه ويجب عليه ان تسري فاعليته الى جميع الجهات اذ يتعلق الامر بصد الهجوم الخارجي وصيانة ما للدول الافريقية من استقلال وسيادة ووحدة ترابية سواء كانت هذه الدول في شرق القارة او في غربها، وبأدائنا لواجب التضامن نسهم في ابعاد الخطر العام المسلط الآن على زايير والخليق بأن يحدق بنا غدا اذا نحن لم نضرب حوله بسياج من الاحتراس واليقظة الشديدة المتربصة به كل حين، وان الكفاح الذي نخوضه ان

هو الا كفاح واحد حيثما وقع واندلع ولا غاية من ورائه الا ان يستتب أمن قارتنا وسلامتها واستقرارها.

وقد نفذ عدد كبير من الدول الى فحوى مقاصدنا فأعربوا لنا عن عطفهم وقبلوا فوق ذلك ان يبذلوا الدعم اللجيستي الذي تفتقر اليه تجريدتنا المرابطة بزايير الى جانب القوات الافريقية الاخرى.

وان المغرب الوفي لتقاليده وتاريخه، والواعي وعيه القوي لحقوقه ومدى التزاماته كان حتما عليه ان لا يعد من الغائبين المتخلفين، ويوم يعود السلام والأمن ويصان استقلال ووحدة قارتنا فحينئذ يستطيع كل فرد من أفراد شعبنا ان يستشعر الشرف والفخر والاعتزاز ويقدر ما للمغرب من يد بيضاء اسهاما في هذه العودة وهذه الصيانة.

أيها السادة :

ان هذه الالمامة المجملة المفصلة بوضعنا وبالأهداف التي نتوق اليها، وان المهمة التي نود اسنادها لاعضاء مجلس النواب وذلك وبالسماح لهم بالمشاركة في مجالي الاعداد وتسيير شؤون الدولة، مشاركة اشد وأقوى، وان ما لنا من تصور للخير المشترك الذي نقدمه ونوثره على كل مصلحة، كل هذه العوامل ستكون ان شاء الله المحرك الأقوى الحامل لشعبنا على مضاعفة ثقته بالعمل الذي نزاوله وبهدفي الرقي والعدل اللذين نتوخى بلوغهما.

واننا اذ نعرب عن يقيننا وايماننا بهذه المغبة الصالحة الحسناء، لنسأل الله ان يكتب لكم الهداية والتوفيق، ويحملكم على المحجة المثلى، ويؤيد جهودكم المخلصة لفائدة الوطن والمواطنين، انه نعم المولى ونعم النصير.

الاثنين 5 رجب 1398 — 12 يونيو 1978

(1) تلا هذه الرسالة الملكية وزير الدولة في الشؤون الثقافية الحاج امحمد أبا حنيني أمام مجلس النوب.